

## الخطبة السابعة والأربعون خطبة عيد الأضحى (2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ... الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر كثيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ...

1. قام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعلى نبينا ببناء البيت وهما يهتفان ويدعوان كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 2 / 127-128]، وبنيت الكعبة وجاء أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام بأن يصعد على جبل أبي قبيس - وهو أعظم جبال مكة - وينادي ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّائِسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكُّبُ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: 22 / 27 - 28]، (ضامر) بعير هزيل متعب من المشقة والسفر، (رجالاً) أي مشاة، فأقبل الموحدون من ذلك الزمان وإلى قيام الساعة، يرفعون أصواتهم ملبين دعوة ربهم لييك اللهم لييك، لييك لا شريك لك لييك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ...

البشرية تلي، والأرض تلي، والسماء تلي، والدنيا بما فيها تلي ... والله يشهد، والملائكة تشهد ... والألسن بشتى لغاتها تشهد ... والتاريخ يشهد، قال تعالى: ﴿لَنَكِينُ اللَّهِ

يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ، وَالْمَلَأْتِكُمْ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾ [النساء: 4 / 166].

2. ولقد فرض الله سبحانه وتعالى الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 3 / 97]، وبين رسول الله ﷺ شعائره وأركانه وواجباته وسننه حيث قال ﷺ: «خذو عني مناسككم» البخاري، وكان فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة، وخرج رسول الله ﷺ إلى العمرة فُصِدَّ عن البيت، وقضى تلك العمرة في السنة السابعة من الهجرة، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر ﷺ في الناس، وفي السنة العاشرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع.

قال ﷺ: «يا أيها الناس، تدرّون في أي شهر أنتم؟ وفي أي بلد أنتم وفي أي يوم أنتم؟ قالوا: يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، اسمعوا تعيشوا، ألا لا تظالموا ثلاثاً، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة (1) كانت في الجاهلية تحت قدمي هذا إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث عن ربيعة عبد المطلب، وإن الله قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، ألا وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا وإن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون، ولكنه في التحريش بينهم، فاتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإن لكم عليهن حقاً لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تکرهونه، فإن خفتن نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها ألا هل بلغت ألا هل بلغت ليبلغ الشاهد الغائب فإنه ربّ مبلغ أسعد من سامع». (حم والبغوي والباوردي وابن مردويه عن أبي حرة الرقاشي عن عمه).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ «سُئِلَ أَيَّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ ﷺ: إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ ﷺ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ ﷺ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» رواه البخاري ومسلم. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» البخاري، وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم» رواه البزار ورجاله ثقات.

والطواف سبعا، يقول في الطائف «الله أكبر، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك»، وعهد المؤمن دائماً وأبداً «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن دستوراً» فعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة» الحاكم - ابن حبان - د - ن - مسلم (1884).

وعن أبي سلام (مطور الحبشي) قال: مر رجل في مسجد حمص فقالوا: هذا خادم رسول الله ﷺ فقمتم إليه وقلت حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» حم - البخاري في التاريخ الكبير - ن - د - جه - مصنف ابن أبي شيبة.

3. وهناك معانٍ جليّة ولطائف حميدة من مناسك الحج منها ...

أ- أن الإحرام يذكر بالکفن الذي تخرج فيه من الدنيا، وهذا الكفن يُعبر عمّا تجنيه في هذه الحياة، فمهما اغتنيت ومهما ملكت، ومهما بلغت ثروتك وملكك فأنت لا تخرج إلا بهذا الكفن، والباقي تتركه وراءك وسوف تُسأل عنه، كيف اكتسبته؟ وكيف أنفقته، وهل عملت فيه بحق الله وحق الناس؟

ب- الإحرام - مساواة بين بني البشر كلهم عظيمهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، ذي الحساب ومن دونه والأمير والسوقة ...

ج - الوقوف بعرفات كالوقوف في المحشر، كلهم يدعو كلهم يتضرع وكلهم يبكي، وكلهم يسأل الله من فضله، ويستعين به من شرو الدنيا وسيئاتها، ومن عذاب الآخرة وعذاب النار وعذاب المحشر ...

هـ - الوقوف بعرفات، تعبير عن وحدة الأمة، تعبير عن وحدة العقيدة - لا إله إلا الله محمد رسول الله - تعبير عن الطاعة والولاء لله تعالى، (لبيك اللهم لبيك) تعبير عن الاعتراف بالنعمة وأنها من الله تعالى (إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) تعبير عن رفض العبودية والتبعية إلا لله تعالى (لا شريك لك).

و - رمي الجمرات تعبير عن الرفض وعدم القبول لدواعي الشيطان، تعبير عملي عن (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) تعبير عن أن الولاء لله والطاعة لله والعبودية لله، ونبذ الشيطان ووساوسه وفتنه.

ز - والطواف تعبير عن أن حياتنا كلها تدور مع الشرع، وتدور حول عبودية الله تعالى وحول مرضاته، الطواف لا معنى له سوى الطاعة المطلقة لله تعالى ولأوامره، والأشواط السبعة لا تعبير لها ولا تحليل لها إلا أنها أمر الله تعالى وفعل نبيه عليه الصلاة والسلام، ونحن له عابدون، ولفعل نبيه متبعون، وعلى عهده ووعد سائرنا يا ذنوبه سبحانه وتعالى.

4. ثم الإيمان واليقين والتصوير والثقة برحمت الله سبحانه التي تنزل على العباد في عرفات، رحمت الله سبحانه وغفران الله سبحانه وكرم الله سبحانه وعفو الله سبحانه وتعالى ... يوم تتجلى فيه صفات الرحمن الرحيم.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء» مسلم - النسائي - ابن ماجه - الحاكم.

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل أيام الدنيا أيام العشر، قيل ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب، وما من يوم

أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويستعيذون من عذابي ولم يروه، فلم ير يوماً أكثر عتيقاً وعتيقة من النار منه» البزار - أبو يعلى - ابن خزيمة - ابن حبان - البيهقي ... (ضاحين) أي بارزين للشمس غير مستترين منها.

5. خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام وفيها قرر وأقر أصولاً أساسية للبشرية جمعاء وعلى مر التاريخ وإلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها ...

أ- المساواة بين البشر «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» لا فرق لعرق على عرق، ولا لون على لون، ولا حسب ولا نسب ولا مال ولا جاه، تقوى الله هي الفصل المبين وهي أساس التمايز، أبو بكر القرشي أخو بلال الحبشي، عمر بن الخطاب قرشي سيد بني تميم أخو صهيب الرومي، وعلي بن أبي طالب القرشي ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها أخو سلمان الفارسي ...

ب- «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا» صيانة للدماء، وصيانة للأموال والأعراض وصيانة للحقوق جميعها ...

6. وزيادة توكيد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن المسلم أخو المسلم فلا يحل للمسلم من أخيه شيء» فلا غش ولا خداع، ولا نكس في المواعيد، ولا ظلم ولا مهانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا يشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» م.

7. «وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»

الربا بكل أشكاله حرام، صغيرها وكبيرها، سواء كان رباً استهلاكياً أم رباً استثمارياً أو رباً صناعياً، أو ربا دولة، أو ربا شركة خاصة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 2/ 275]، ولمن يفهم العربية، الاسم إذا جاء معرفاً دلَّ على الشمول وعلى العموم و(حرّم الربا) أي كل أنواع الربا، لأن الربا جاءت معرفة بالألف واللام ... ثم إن سبحانه وتعالى هدد وتوعد وأعلنها سبحانه وتعالى حرب على المرابين ... قال تعالى: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 2/ 276]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة: 2/ 278 - 279].

8. «ألا واستوصوا بالنساء خيراً» أين دعاة حقوق المرأة؟ أين المتشدقون في تحرير المرأة؟ تحرير المرأة من ماذا؟ تحريرها من ثيابها !! تحريرها من عفتها !! تحريرها من حياتها !! تحريرها من أن تكون زوجة وأمّاً حتى تصبح خليعة، وعشيقة، وخليفة، وحتى تعمل وتمتهن ويتصيدا الذئاب والكلاب !! إنها في نظر الإسلام أمانة وصاحبة رسالة ومربية وراعية على زوجها وأولادها، هي أم وزوجة، وهي نصف الأمة وتلد نصف الأمة الآخر، فهي الأمة بأكملها، وعفتها وشرفها ومنزلتها ورفعتها هي صيانة للأمة بأكملها.

«ألا وإن لكم على نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً ... ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم» أي إنهن أسيرات في البيوت يربين أولادهن ويعتنين بأزواجهن وبيوتهن ...

«أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» هذا هو الإسلام من خمسة عشر قرناً، أين كانت أوربة وأمريكا وماذا كانوا يفعلون بالنساء وكيف كانوا يتفننون في امتهان المرأة وإذلالها وأكل حقوقها... وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 2/ 228]، هذا هو الإسلام وهذا هو تشريع رب العالمين.

9. وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم» رواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام الله من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ألا وإني فرطكم (أي متقدمكم وسابقكم) على الحوض، وأكثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وإني مُستَنقِذُ أناسًا، ومُستَنقِذُ مني أناس فأقول يا ربي أصيحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» حم - جه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «اعبدوا ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم» تهذيب الآثار لابن جرير، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة» البخاري - حم.

10. ومن العجائب والمعجزات في خطبة الوداع أن رسول الله خطب في مئة وعشرين ألفاً أو يزيدون، فكيف وصل صوته إليهم جميعاً، أليس في هذا معجزة؟

**ثانياً** - وساق معه عليه الصلاة والسلام مئة من الإبل لينحرها، فنحر منها عليه الصلاة والسلام ثلاثاً وستين بعدد سني عمره، ونحر الباقي الصحابة رضوان الله عليهم

**ثالثاً** - والعجب الذي لفت أنظار الناس أن الإبل تسابقت إليه عليه الصلاة والسلام لينحرها ولم تهرب ولم تفزع، لأن من عادة الإبل الهروب إذا أرادوا إمساكها للنحر، وكان الإبل فرحة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يذبحها ...

**رابعاً** - ومن اللفتات التي أبكت الصحابة رضوان الله عليهم قوله لهم عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» رواه مسلم، فعرف الصحابة أنه يودعهم، فساد الحزن والبكاء والنحيب ...

**خامساً** - وقف عليه الصلاة والسلام بعرفة على ناقته يدعو ويتضرع إلى الله تعالى

وكله عليه الصلاة والسلام خشية ووقار وتضرع وبكاء، وإذا جبريل عليه أفضل السلام وأتم التسليم ينزل بقوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ﴾ [المائدة: 3 / 5]، فعرف عليه الصلاة والسلام أن الدين قد تم وأن الله سبحانه قد رضي له لأمته، وأن مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام قد تمت وانتهت، وأن أجله عليه الصلاة والسلام قد اقترب فإنا لله وإنا إليه راجعون ...

**سادساً -** وحلق رسول الله ﷺ رأسه فأعطاه لمعمر بن عبد الله، وقال يا معمر سم الله، واحلق رأسي وأعطاه ﷺ ميمنة رأسه، فلما حلقه أعطى ﷺ شعره لأصحابه وقال «اقتسموه بينكم» وحلق معمر النصف الثاني، فقال ﷺ أين أبو طلحة الأنصاري؟ فأتى أبو طلحة فقال ﷺ: «خذ هذا الشعر كله» فبكى أبو طلحة من الفرح، رواه مسلم.

**سابعاً -** قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 22 / 29]، ﴿تَفَثَهُمْ﴾ الأوساخ وإزالتها بالحلق، وقص الأظافر والاعتسال، ووضع الإحرام ولبس الثياب، ﴿نُذُورَهُمْ﴾ نحر ما نذر من الإبل والغنم، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة وهو الطواف الواجب في يوم النحر...  
وأهم الأمور في يوم النحر ...

1. رمي الجمرة الكبرى بسبع حصيات. 2. نحر الهدى.
3. حلق الرأس.
4. طواف الإفاضة.
5. حذر عليه الصلاة والسلام من تحريش الشيطان بين المسلمين وإيقاع العداوة بينهم، وحذر من الخلافات والحروب بين المسلمين وتفريق الصف، وتمزيق وحدة المسلمين، ووَضَعَ الأخذ بالثأر، وحذر عليه الصلاة والسلام من الأحقاد وسفك الدماء، إنها من أعظم الخطب، وإنها من أعظم الوصايا عبر التاريخ ...  
فصلاة ربي وسلامه عليه ...

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق



رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه، (يرفث) أي لم يجامع زوجته، ولم يأت بالكلام البذيء السيئ، «لم يفسق» أي لم يصر على المعاصي بل جاء إلى الحج تائباً نادماً، بهذا يرجع نظيفاً من الذنوب كيوم ولادته، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رضي الله عنه: «من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه» الترمذي.

وروى ابن عبد البر بسنده عن أنس رضي الله عنه قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات وكادت الشمس أن تؤوب فقال يا بلال! أنصت لي الناس فقام بلال رضي الله عنه فقال: أنصتوا لرسول الله فنصت الناس فقال صلى الله عليه وسلم: معاشر الناس! أتاني جبريل آنفاً فأقرأني من ربي السلام، وقال: «إن الله غفر لأهل عرفات ولأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات» فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: «يارسول الله، هذا لنا خاصة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة» فقال عمر رضي الله عنه كثر خير الله وطاب.

ليبك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، اللهم ارزقنا حجاً مبروراً و اغفر لنا وارحمنا وتقبل منا ... والصلاة والسلام على رسول الله وسلم ...

